Editor - in- Chief
Fakhri Karim
General Political Daily
Mon (23) August 2004
http://www.almadapaper.com
E-Mail-almada112@yahoo.com

منشورات دار ( ) للثقافة والنشر والفنون

حوار الشرفات الصامت

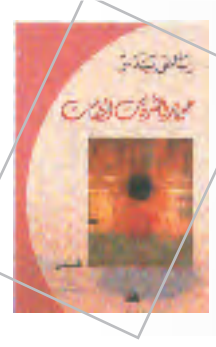

المؤلف: رياض بيدس
الطبعة الأولى: ٢٠٠٣
عدد الصفحات: (١٦٠) ١٤,٥ × ٢١,٥
شخصيات رياض بيدس في هذه المجموعة، أناس نلتقي بهم في الطريق والسوق كل لحظة. ومراحل عمرية متعددة من الطفولة التي نريد أن تصرخ لتثأر لنفسها إلى صحراء الشيخوخة المقفرة من البهجة. ومن الجارة الشبقة إلى الزوجة التي يتكرر حضورها فتتسربل بثوب وطن تسوده الكوابيس والغيلان والذئاب.
يتألق بيدس بحوار ساخر مفعم بالدلالات، أعطته اللغة العامية الفلسطينية سحراً خاصاً.

التصوير الشمسي مهنة تقاوم النسيان

برغم كل التطور الذي حصل في مجال التصوير بوجود الكاميرات الحساسة، والكاميرات الرقمية والتصوير الفوري ومختبرات التصوير السريعة الا ان الصندوق الخشبي المكعب المرتكز على ثلاث قوائم ما زال شاخصا يقاوم الانقراض ويعلن عن وجوده على الرصيف وقد علقت امامه قطعة قماش سوداء اللون او حمراء لتساعد في توضيح الصورة واخفاء معالم الجدار ضمن اطارها.

محمود كريم الموسوي

وكثيرون هم الذين يتشوقون لمعرفة ما بداخل الصندوق، فداخله يحتوي حافظة ورق معلقة على الجهة اليسرى من الصندوق وقالب الورق المهيأ للتصوير والذي يسمى (بوزلي)، وصفيحتين صغيرتين مطروحتين في (مجر) صغير يسحب الى الخارج من الجهة اليمنى للكاميرا، مفتوحتين من الاعلى احداهما تحتوي على محلول (مظهر)، والاخرى تحتوي على محلول (مثبت).

اما وصف الكاميرا من الخارج فهي صندوق خشبي مكعب طول ضلع اصغر كاميرا خمسة وثلاثون سنتمتراً، فيه فتحة من الامام ارتبطت بها عدسة التصوير بواسطة مضلع اسود يسمى (كورد) يسمح بضبط العدسة الى الامام والى الخلف للحصول على افضل صورة ومن جهة الخلف فتحة اتصل بها كيس من قماش اسود طوله بحدود نصف متر يدخل المصور يده فيه الى الصندوق ليهيئ ورق التصوير للصورة، ومن ثم نقل ورقة التصوير الى محلول المظهر ثم الى محلول المثبت، بمتابعة نظره من خلال فتحة (العينة) التي هي في اعلى الصندوق جهة المصور.

اما (المقياس) فهو خشبة مستطيلة صغيرة الحجم، وضعت على ذراع يثبت في فتحة من امام الصندوق، حيث يوضع النكتف (الجامة) على خشبة المقياس لسحب الصور المطلوبة عليها.

وقد سمي بالتصوير الشمسي لحاجة العدسة الى اضاءة شديدة في التصوير يجدها المصور في اشعة الشمس.

ان ما يجعل هذه المهنة تقاوم الانقراض هو امكانية تنقل المصور بكاميرته الشمسية حيث تكون الحاجة اليه، والتي تكمن في طلبات الدوائر المفاجئة لصورة مما يضطر المراجع للاستعانة بالصورة الشمسية اما بالتصوير المباشر، واما على صورة في احد مستمسكات المراجع للاسراع في انجاز معاملته حتى لو كان غير مقتنع بالصورة.

وحدثنا المصور (محمد عبد علي) (٧٥ سنة) عن مدة ممارسته المهنة واستمراره فيها قائلاً: ازاول هذه المهنة منذ اكثر من ستين سنة، ولا استطيع تركها لانني لا اعرف مهنة غيرها، وتركها يعني ان اكون من رواد المقاهي اما رزقها فإنني قانع برزقي لان الرزق من الله وليس من احد ولي اربعة اشقاء يعملون بالتصوير الشمسي اثنان منهم تركا المهنة لمرضهما، واثنان ما زالا مستمرين.

ذهبنا الى شقيقه (حسن عبد علي) (٦٩ سنة) وسألناه عن مواقف محرجة في مهنته فأجابنا: ان المواقف المحرجة كثيرة، اذكر منها اعطاء صور شخص لآخر بسبب الازدحام في اخذ الصور، فعاد لي احدهما في حين لم يرجع الثاني فعدت مرة ثانية واخذت له صوراً اخرى مجدداً.

اما الشقيق الآخر (كاظم عبد علي) (٦٣ سنة) فسألناه عن توقعه لنهاية التصوير الشمسي فقال: ان الزمن كفيل بذلك ولا اتوقع زواله حالياً لان بعض الدوائر تطلب الصورة لمعاملاتها مثل دائرة الضمان الاجتماعي واللجان الطبية ودائرة التقاعد وغيرها الكثير وان المراجع احياناً يفاجأ بالطلب فيلجأ الينا.

المشردون تطاردهم تهمة الجنون

يكفي لأي منا ان يحدث نفسه وهو يسير في الطريق، ليكون مجنوناً في حكم القانون الجمعي.. ومن منا لم يخض هذه الممارسة الاحادية التي تسحبنا خارج المكان، وتخفف من شحنات الانفعال والتوتر التي قد تؤدي الى هلاك (الأنا الاعلى) في لحظة من لحظات تراكم الضغط الانفعالي.

ويالها من واقعة إذا ما وقعت وخرجت الانفعالات الى حيز الرؤية؟ وفعلت فعلها في اختراق السلوك والحركة، حينها سيصرخ بوجهك الجميع، أخرج من جنائن آدم.. فلا توسلات التعاويذ ستنفع ولا عطابات الطب العربي.

اما الاعلان عن زيارة طبيب الامراض النفسية فهو بمثابة الاعتراف بقتل الحقيقة ودليل ادانة للذات، فالذهان والكآبة او العصاب و (الشيزوفرينيا) او المنخوليا، جرائم وليست أمراضاً كالتي تصيب سائر اعضاء الجسم كالقلب والكليتين وبيت الداء والرئتين.. وتبقى زيارة ذلك الطبيب محاطة بالسرية، واذا ذاع أمرها، ازدادت ازمة المريض من جراء الواجب الذي يقيمه الجيران والاصدقاء، لتصعد الى حد الغربة والاغتراب وربما التوحد في ملكوت الله سبحانه.. انها لمعادلة عسيرة على الموازنة، طرفاها الفرد والجماعة، المجنون والعقلاء، الأنا، والأنا الجمعي، فمن ذا الذي يستطيع ان يضع ميزاناً لهذه المعادلة، للمطالبة بحقوق المريض من المشاعر الجمعية الظالمة، التي تستبيح حرمة الانسان؟ وفي البدء فاننا بحاجة الى النظر في المرآة لمشاهدة واقع الشروخ والبثور التي تنتشر في وجه المجتمع ومن بين هذه الشروخ شرخ التشرد الذي يعانيه الكثير من المرضى النفسيين، كنتيجة للمعاملة غير الصحية التي يتلقونها من كياننا المجتمعي.. فالمسؤولية الآن ملقاة في حقائب القائمين على شؤون الناس ممن ينتمون الى مؤسسات السلطة او مؤسسات المجتمع المدني ونحن بانتظار اخراجها لوضع الحلول السريعة والناجعة لهذه المأساة الانسانية.. فكل منا معرّض لان يصاب بهذه (التهم) فمن ذا الذي سيدافع عنا في محاكم تستبق الاحكام فيها على دفاع المتهمين.. وان حاولنا الهروب من قبضة اللاعدالة الى عالم السلام والحرية، ستتلاقفنا الارصفة وتستحيينا الشوارع ويفترسنا الجوع، حتى ننتهي في قمامات الظالمين ننقب عن بقايا طعام فاض عن حاجة العدالة ومدعيها، لنسد به رمق انسانيتنا.

انه لحكم جائر، يستدعي نوبات من الصراخ، نستنفرها لاختراق آذان الحق الذي تشيأ في اجساد الاصحاء فغدا شعاراً ونحن بحاجة لأن نحتمي بظلاله من الشمس التي سلخت جلودنا والبرد الذي قطع اوصالنا.

يقولون اننا بلد يعيد بناء مؤسساته وبنيته التحتية التي حطمتها الحروب فلا ندري هل أخذ القائمون على هذا البناء بنظرهم حقنا في الحياة ومتى ستشملنا الايادي الكريمة، بعطفها فتؤوينا في مستشفيات كما البشر فكل ما نريده هو ان نرتدي النظيف ونأكل ونستحم دون ان تنسانا مواعيد الاكل والاستحمام، وننام على فراش كما ينام الآخرون دون أن يتركنا الليل للارصفة ونتعالج كما يتعالج أي مريض دون ان تتلبسنا تهمة العار، وبحكم صلة القربى الانسانية يتحملنا القائمون على علاجنا.. فنحن غير قادرين على التجمع في زمن التجمعات حتى نوصل اصواتنا الى مكاتب المدافعين عن حقوق الانسان.. ما زلنا نبحث عن ضمائر تعرفت على معنى تلك الحقوق، لتمتد الايادي وتنتشلنا من التشرد.

محمد شريف أبو ميسم
عدسة كاتب المقال

انهم يضربون شارع الرشيد!

محمد درويش علي

لا أدري ما الذي أراده الإرهابيون، عندما وجهوا صاروخاً الى شارع الرشيد، ولا سيما المنطقة المحصورة بين جامع الحيدرخانة وبداية ساحة الميدان؟! فكلنا نعلم ان هذه المنطقة يسكن فيها أناس من ذوي الدخل المحدود، بل والمحدود جداً، مما يدفع بالكثيرين منهم الى بيع حاجيات منازلهم لمقاومة الحياة التي تعصف بهم! فحياتهم عبارة عن كفاح يومي، عبر البحث عن لقمة العيش والمأوى. ومَنْ يتابع سيرة هذه المنطقة، وبالرغم من قربها من نهر دجلة، إلاّ ان الماء لا يصل إليها، وان وصلها فهو بالقطّارة كما يقولون، في ذلك الزمن الذي ذهب مع الريح، وفي هذا الزمن الذي تلعب به الريح. ولا يصدق أحدٌ ان قلنا انهم يحملون الماء في صفائح (تنكية) ويضعونها في عربات، ويتحملون عناء المجيء به من مناطق (تبة الكرد) و(الفضل) ليداروا به عطشهم، انهم فقراء ومساكين مع سبق الاصرار، في كل العهود والأزمان، ولا نعتقد بأن موقع (ديمونة النووي في صحراء النقب) نقل اليها، أو موقع (بوشهر في ايران) أو مواقع (نيفادا النووية في اميركا) قد نقلت إليها لتضرب بالصواريخ! فيها فقط مقهى حسن عجمي مرتع الأدباء والصحفيين منذ كل الازمان. وفيها مقهى الزهاوي حيث المتقاعدون والنركيلة العراقية، وفيها مقهى ام كلثوم بتاريخه العريق ورواده، وفيها باعة الفلافل، وابو علي بائع الجرائد الهارب من الجوع من درابين الشيشان، وابو علي الآخر الذي يبيع القمصان والبنطلونات للأدباء، وفيها سوق الهرج، سوق الذين غدر بهم الدهر ليبيعوا قمصانهم ويناموا في احضان العراء..

لماذا تضرب هذه المنطقة اذن بالهاونات، وتسال دماء الابرياء هناك؟ سؤال ينطوي على الكثير من الآلام والاوجاع، وفيه الكثير من الجروح التي لم تلتئم بعد، عبر نزيف استمر عقوداً.

لا نحتاج في عراق اليوم الى هاونات ومدافع ودبابات ومتفجرات وتصريحات بل نحتاج الى بعضنا البعض، ليحمل كل واحد منا حجارة ويضعها على كل مكانٍ هدته الاحقاد، لنبني وطننا من جديد، ونواصل مسيرة الحياة عبر مسافات المحبة والألفة والمصالحة.. لا نحتاج الى غير هذا!